

الطرق ، رسم لها
صورة رائعة ، ولم
يتناول عليها أجراً
سوى نصف جنيه ،
على حين قد دفعت
هى خمسة وثلاثين
شللاً ثمناً للإطار
وحده . لذلك طالما

بِسْمَةِ الْجِيُوكِنْدَلِ
للكاتب الانكليزى الدوسر هيكلى
بقلم الأديب حسن حششى .

— ١ —

أقبلت خادمه الحسنة جانيت تعان لمستر هتن
قدوم سيدتها بقولها :

— ها هى ذى مس اسبنس قادمة على أرى

ياسيدي

— شكراً لك

بهذه الإجابة المختصرة أجاب مستر (هتن)
دون أن يلتفت لخادمه جانيت اسبنس التى ارتسمت
على وجهها أمارات القبح الدال على خبث الطبع
ولوؤم السرية ، فلا جرم أن كان مستر هتن شديد
العزوف عن التطلع إلى وجهها إلا إذا أرغمته الظروف
على ذلك . وأغلق الباب ، فظل هتن وحيداً ، فأخذ
يذرع أرجاء الغرفة جيئةً وذهاباً ، متأملاً بعينين
نفاذتين ما تحويه من نفخ المتاع وفاخر الرياش

كانت هناك صور من زخارف اليونان وأخرى
من معارض الرومان ، ورسوم ملونة من أروع ما خطته
يد التليان ؛ ينطق فيها بقيمتها وثمنها ؛ أما جانيت
سبنس فقد كانت فتاة عاملة صريحة ، ذكية الفؤاد ،
ذات ميل للفن وذوق رفيع ، وقد أكسبها ذلك
معرفة بفنان بارع ، ليس له من مأوى غير أفاريز

سمعها (هتن) تشيد بذكر هذه القصة . وكما كانت
تغالى في ذكر تقليده رسونها الزيتية قائلة بجل فيها :
« فنان من الطراز الأول لا يأويه غير الشارع ! »
وكان الحرف الأول من كلمة « فنان » يبدو واضحاً
جلياً أثناء كلامها . وإنه ليخيل إليك وأنت تسمعها
تحدث عنه ، أنها قد نالت حظاً من عظمتها بنصف
جنيه قدمته أجراً له على محاكاة صورتها ؛ ولم تكن
تنفى أن تنحى على حسن ذوقها وعمق بصيرتها ، فما
أزهد الدهر في مثل هذا الفنان ! وما أسمعد جانيت
العزيرة بما نالته من الأيام !

وقف هتن أمام امرأة مستطيلة مائلاً إليها بصدوره
قليلاً ، ليملاً نظره من ملامح وجهه ، ثم أمراً أصبعاً
ليناً على شاربه الأصفر المجمد ، كأنما مرت عليه
عشرون سنة ، بينما ظل شاربه حافظاً للونه ، لا يظهر
فيه أثر للصلع إلا في مقدمة رأسه كأنها رأس
« شكسبير » كما قال حينما رأى صقلها واتساعها
فوق جبهته . وكان يقول « إن كثيراً من الناس
في انتظار سؤالنا من غير سلطان عليهم ، وآخرون
غيرهم على نحوهم فوق البحار ، فيالها من عظمة ترى
بعضة شكسبير حتى ولو كان معاصري اليوم ، بل

وكانت إذا صاححت مستر هتن ، ابتسمت له في سكون
وهدهوء كما هو شأن الجيو كوندنا . . . ثم عاد هتن
يقول :

— أمل أن تكوني بخير كما أتوسم

وإذ ذاك لاحت دلائل الدهشة واضحة على
جبينها . . . كان لها فم صغير تضمه إلى الأمام فيشبه
المنقار الدقيق وله فتحة صغيرة في وسطه ، كأنما
هيئت للصغير فكان أشبه شيء بشبابة القلم تُرى
من الأمام ، ويميلو الفم أنف جميل كأنه سطر
بدبيع مستقيم ، ركبت أعلاه عينان رجراجتان ،
وكان يخيل لناظرهما أن بهما انتفاخاً واحتقاناً ،
ولكنهما جميلتان أخاذتان ، يظللها حاجبان
مقوسان كأنهما خطان أسودان ، يزيدان جمالها
هية وجلالاً ، ويكسو رأسها شعر فاحم روماني
أشبه بحاجبيها ، فكانها عادة رومانية
أخذ هتن في حديثه فقال :

— أحسبني قد ظفرت بمنم في طريقى إلى
البيت ، وإنه ليحسن بي أن أعود إلى هنا ثانية ،
ثم أخذ يلوح بيده مشيراً إلى أصص الزهر وأشعة
الشمس وما تحت النوافذ من مروج سندسية
ثم قال :

— أجل ! يحسن بي أن أعود إلى الريف بعد
قضاء سحابة النهار في المدينة

ثم أشارت إليه جانيت ليجلس على كرسي
بجوارها ، ولكنه أبى وامتنع قائلاً :

— حقاً إننى لا أستطيع الجلوس ، إذ أرانى
مضطراً للعودة لأرى ما آل إليه حال « إميلي »
لأنها كانت متوقعة المزاج بالأمس
لكنه جلس مواصلاً حديثه فقال :

قل عظمة « ملتن » أليس كذلك ؟ ملتن ؟ لا بل
عظمة عذراء المسيح !

وكان النساء يسمينه « فتى الرجولة » فلا عجب
أن أحبيته ؛ وخاصة لأجل شاربه الأصفر وطباقه
المطر

تبسم هتن ثانية ، وأخذ يتسلى بمداعبة نفسه
قائلاً : « أترانى قد بلغت عظمة عذراء المسيح ؟ لا لا !
بل مسيح العذارى ! حسن جداً ! مسيح العذارى »
وودّ إذ ذاك لو ألقي حوله من يستمع إليه ثم قال :

« وأسفاه ! إن لم تقدر شأنى جانيت ! »
وانتصب بعد ذلك قائماً ، ومسح رأسه بيده ،
ثم عاد إلى تطوافه في الغرفة متأفقاً من المناظر
الرومانية خلوها من مناظر البهجة والسرور ؛ ورجاء
حك الشك في صدره مخافة أن تكون جانيت واقفة
على باب الغرفة تسمع ما يقول ، فنهض ميماً شطر الباب ،
حتى ليخيل للرأى حين ذاك أن مستر هتن قادم على عمل
إجرائى ، إذ أن صدور مثل هذه الحركات الصامتة
كان يثير الرية في النفوس ؛ وتواردت الخواطر على
ذهنه تباعاً مخافة أن تكون قد سمعت كل حديثه
وشاهدت حركاته وما كان منه أمام المرأة ، ثم قال
على حدة : « كلا إن هذا بعيد الوقوع » بيد أن
هذا لم يذهب روعه

والتفت فرآها ، فذهب نحوها مبتسماً ، ماداً يده
لصاحتها قائلاً :

— أى جانيت ! لقد ملأتني عجباً ودهشة
فتبسمت هي الأخرى أيضاً ابتسامة الجيو كوندنا
— وكان يدعوها بذلك في لحظات الدعابة والمجون —
وإذ كانت جانيت قد اعتقدت في نفسها تلك الصفة ،
فقد حاولت أن تحيا وفق حياة « ليوناردو فنشى » ،

أومن به بقوة؛ وخاصة الخيال المترتب على عقد زوجية
بضم خاين متآلفين، وأكبر ظنى إذ ذاك أنه أقرب
إلى التحقيق، بل أكد ذلك

وقف «هتن» متأملاً فيها ينظر إليها نظر
المستريب قائلاً لنفسه:

— عذراء في السادسة والثلاثين ولا تزال غضة
حافظة لجمالها! لا بد من شيء خفي يحوم حولها
غير أن جانبيت لم تجب على ذلك بحرف واحد،
بل ظلت مبتسمة، وكثيراً ما كانت ابتسامتها
الصامتة تملأ صدره غيظاً، ثم نهض قائماً وقال:
— الآن حان وقت الذهاب، فوداعاً أيتها
الجيوكوندا الساحرة!

بيد أن الابتسامة استحالت دهشة أطلت
من فتحة ضيقة من بين شفتيها، حينذاك انحنى
هتن انحناء فنية ثم قبل أناملها المبسوطة، وكانت
هذه أول مرة نال فيها ذلك الغنم العظيم الذي لم
يقابل من ناحيتها بامتناع، مما شجعه على أن
يقول لها:

— إنى لأنظر إلى الغد بأمل فيك كبير

-- أحقاً ما تقول؟

ولم يكن جوابه حينذاك إلا أن طبع على يدها
قبلة أخرى، ثم استدار ناحية الباب، فراقته إليه
سائلة إياه: أين عربتك؟

— تركتها عند مبدأ الطريق

— سأحببك إليها

— لا لا! ليس لك أن تأتى شيئاً من ذلك،
وأصارك القول إنى أحتج على ذلك. لكنها
فاجأته ببسمة الجيوكوندا، ثم عارضته في كلامه
قائلة: «لقد عذرت على المجيء» فرفع هتن إذ ذاك

— نعم إنها مصابة ببرد الكبد الذى كثيراً
ما يعاودها، ورأى في النساء...

ثم سكت فجأة، متصنعاً السعال رغبة منه في
إخفاء حقيقة سبقه لسانه بالتلميح إليها، وكاد أن
يزل فيذكرها... كان يريد أن يقول: «إن النساء
ضعيفات الجهاز الهضمي، وأولى بهن ألا يتزوجن»
بيد أن الإشارة كانت قاسية، وما كان هذا الرأي
صادراً منه عن عقيدة. ولكن جانبيت كانت فتاة
ذكية، وتعرف ما بينه وبين إميلي زوجته، ثم
قال هتن:

— إن إميلي تود أن تعافى لتراك على مائدة
الإفطار غداً، فهل لك أن تأتى؟ ثم تبسم قائلاً:
— وإنى لأوجه إليك الدعوة، فاعلمى هذا
طأطأت جانبيت رأسها خجلاً، فانهز «هتن»
رؤية احمرار خديها، وعد ذلك غنماً جليلاً، ثم مسح
شاربه، فقالت:

— فى نيتى الحضور لو كنت على ثقة بأن صحة
«إميلي» ستمكنها من لقائنا

— أجل إن فى قدومك خيراً عليها بل علينا
جميعاً، ولثلاثة فى الحياة الزوجية أفضل عشرة
من اثنين

— صه! ما أشبه قولك بعواء الكلاب!

حقاً ما كان أسرع هتن إلى المواء خصوصاً
عند سماعه الكلمة الأخيرة، فلهذا ما كانت تثيره
أكثر من أى كلمة أخرى. غير أنه خالف سنته
هذه المرة، فبدل أن يعوى أخذ يمارض قائلاً:

لا لا! إنما أقول الصدق ولو كان مرأى، وكما
تعملين لا تأتى الحقيقة مطابقة للخيال فى كل حين،
وإن كان ذلك لا يضاعف من ثقى فى الخيال الذى

— تسأليني كم عمري ؟ لعلك تفتضين منه لو
وجدته كثيراً !

ثم أسند ظهره إلى مقعد منخفض وقد احتوشه
الدفع من كل جانب ، وأطل بجانبه رأس صغير
ذو وجه باش ينهد تنهد المسالم المطمئن ويقول :
« ما أعظمك من دب ! » فالتفت هتن بنفس ملؤها
الانفعال إلى ذلك الوجه الصغير الذي يجاوره ويحاوره ،
ثم أمر أصابعه خلال خصلات من الشعر المعطر قائلاً :
— أتعلمين يا دوريس أنك أشبه شيء بصورة
لويز دي كرواي ؟

— ومن هي لويز دي كرواي هذه ؟ وما شأنها ؟
وحينذاك غمر (هتن) وجه الفتاة دوريس
بسيل من القبل ، والسيارة بحدة في اختراق طريقها
ولاح لها ظهر السائق كسد حجري أو ظهر تمثال
وإذ ذاك قالت هتن :

— أسألك ألا تمسني بيديك فإنهما يتحدثان
في نفسي تأثيرات كهربائية . فزاد ذلك من إحساسه
وشعوره ، ثم قال وقد جذبته صوته الحنون وجسدها
الأملس :

— وهل حدث في حياة امرئ أن
اكتشف ما في جسمه ؟ إن الكهرباء ليست في
بل فيك أنت ... آه ... دوريس ... دوريس ...
وكان يحطرها بقبلائه الحارة ، وغمرت قبلائه
عنقها الغضبي الجميل الذي أسلمته إياه في استسلام
وسكون ، ثم تذكر حينذاك دودة البحر ذات الفراء
الحريري الخاص ؛ ثم أكد لنفسه أنه لا بد ذاهب
إلى نابلي ليرى الحيوانات ذات الأصداف العجيبة
الحلقة ، فقالت له :

— أيها الدب العظيم المغمم بعلم الحيوان . إنها

يده مظهرأ عدم رضاه ، وبحركة غريبة قبل يدها
قبلة الوداع ثم شرع يجري في الطريق على أطراف
أصابعه بخطوات واسعة أشبه بالصبيان ، ولم كان
معجباً بهذه المشية الغريبة ، لكن سره أن المرحلة
ليست طويلة ، وعند آخر خطوة ، وقبل أن يتوارى
عند منعطف الطريق ، وقبل أن يتوارى البيت عن
أنظاره التفت خلفه ، فأبصر جانبيت لآ تزل واقفة
على الدراج ، وابتسامتها لم تزال شفيتها ، فأشار
إليها إشارة الوداع ، وبعث إليها مع الريح قبلة رن
صداها قوياً ، ثم عاد إلى وثبه العجيب . وما لبث أن
دار حول آخر دوحة عالية ، وترك الوثب جانباً وعاد
يمشي كعادته ، وتناول منديله ومسح به رقبتة وياقته
وهو يقول في نفسه : « ما أعظم هذا الجمل ، وأشد
شينة ! أما على الأرض شبيهه لجانبيت العزيزة ؟ أجل
ليس عليها إلا هي

والحق أنه كان أعظم جهلاً ، حينما كان يحس
بجهله ، ويأبى إلا أن يعمن فيه

وانتهى إلى حيث تقف عربته الفاخرة ، فقال
للسائق وقد أخذ مكانه في العربة « هيا إلى البيت
رأساً يا مستر ناب ، وقف عند كل تقاطع كما هي
العادة » ثم جذب باب العربة وأقبل على الوحشة التي
كانت نعم داخلها

ولكن ما لبث أن سمع من الداخل صوتاً رقيقاً
واضحاً يقول له :

— ما ذا أيها الدب العظيم ؟ كم لبثت من عمرك ؟
غير أن مخارج الحروف لم تكن تصل إلى سمعه
جيداً ، فانحنى بجسمه الضخم ، واتخذ مكانه في
العربة كما يفعل الحيوان حين يباغت فيهرول إلى
جحره ، وما إن أغلق الباب وأخذت العربة تشق
طريقها حتى قال :

— آه يا عزيزي ، أود أن يكون ما أسألك عنه صحيحاً وألا يكون هناك ما يكدر خاطري وقتاً ما وإذ ذاك أخذته الشفقة على هذه المخلوقة وتأثرت نفسه لهذه المسكينة ، ووضع خده على شعرها . وهكذا التفّ بعضهما ببعض ، بينما العربية أخذت في قطع الطريق ، وشقّ غبارها ثم وقفت بهما عند أحد الأعمدة وترجأت دوريس ، أما هو فقد بقى في مكانه وودّعها قائلاً :

— في رعاية الله أيتها العزيزة !!

ثم انطلقت العربية بكل قوتها ، حتى اختفت في منعطف الطريق تاركة وراءها دوريس الجميلة ، خائرة القوى مشتتة الفكر من أثر رقة تلك القبل ، والشعور الكهربائي الساري فيها من أثر مسّ يديه القويتين . ثم أخذت تتنفس الصعداء لتروّح عن نفسها عناء الفكر ، حتى إذا استجمت قواها أخذت طريقها إلى البيت وقد سارت نصف ميل وهي تفكر في حيلة كاذبة تنفعها وتدفع بها أسئلة أهل المنزل عن سرّ تأخرها حتى ذلك الوقت

أما هن فقد ظل وحيداً في العربية

— ٢ —

كان مستر (هتن) جالساً على أريكة في صالون السيدات يلعب الورق . وبالرغم من أن حرارة الجو كانت شديدة في مساء ذلك اليوم من أيام يوليو فقد سجر التنور بنار متأججة وتمدد أمام الموقد كلب « بوميراني » خدرته الحرارة وأخله سوء الهضم والمعدة المكتظة ، فأغمض ... وشعر مستر هتن بارتفاع الحرارة فقال في تأفف ونحج

— أليس الحر شديداً هنا ؟

حيوانات برية فما أعجب نكاتك ، لقد عظم سروري الآن

— وإني لجد مسرور مثلك . أليس كذلك ؟
— بودي لو أعرف الحقيقة ، أخبرني أحقاً ترى ذلك أم باطلاً ؟

— واهاً لك يا عزيزي ، إن طلبك هذا عسير . لقد قضيت ثلاثين عاماً في البحث عنه ولا أزال — إنما أحب الجدة والصراحة أيها اللب العظيم ، أود لو أعرف صحة هذا الأمر فإن يكن صواباً فسأبقى معك ينعم كلانا بحب الآخر ، ويكون في ذلك ما يبعث في تأثيرك الكهربائي عندما تمسني يداك

— تريدني الحق ؟ لك ما شئت ، وإنه لمن الخير أن توجد فيك تأثيرات كهربائية فوق ما عرفنا في الطبائع البشرية . إذن دونك كتابات « فرويد » إقرأها وستجد أن ذلك خزعات شيطانية .
— واهاً لك ! لقد أحججت عن مساعدتي ، فما يمنعك من سلوك سبيل الجدة ؟ هل سبب ذلك أنك تعلم ما أكون فيه من الشقاء متى عرفت أن ذلك غير صحيح ؟ لعلك تعلم أن هناك جهنم وما شاكل ذلك من معتقدات ، أما أنا فقد حرت في أمري ، وأحياناً أرى أنه خليك بي أن أدع حبك جانباً

— وهل يسمعك ذلك ؟

— لا ، لا أستطيع ذلك كما تعلم ، غير أنه في مكنتي أن أفرّ من أمامك وأخفي نفسي عنك ، وأغلق دونها الأبواب ، وأرغمها ألا تعود إليك — فضمها إلى صدره وقال : ما أعجب شأنك أيها الصغيرة الغافلة !!

إذا أمسكتها فحككت وصاحت كما يصيح الأطفال
سروراً، ثم قال هتن لأيميلي :

— أؤكد لك أن صحتك تتحسن يا عزيزتي
— ولكنني في شك من مجيئك معي يا صديق
— إنك تعلمين أنني ذاهب إلى اسكتلندا في
أواخر هذا الشهر !

وأخذ هتن ينظر إليها نظرة المؤمل المستعطف ،
ولكنها بددت هذا السكون بقولها :

— إن التفكير في مثل هذه الرحلة أشبه بالحلم
الرفاف يهوم بالأذهان وهي في سكرة النعاس
وذووله . ولست على ثقة مما إذا كان في وسمي أن
أقوم بها ، ولا يخفى عليك أنني لا أستطيع النوم
في الفنادق فضلاً عما أحمل من متاع ، وما أتكبد
من آلام ... الحق أنني لا أقوى على السفر وحدي
— لكنك لن تكوني بمفردك ، إذ سوف
تصحبك وصيفتك !

ثم صمت وتذكر كيف أنه تزوجها صحيفة
فأصبحت مريضة ، وهكذا أخذت النسوة المريضات
يحملن محل المتعافيات ، مما حدا به أن يتذكر
أشعة الشمس الجميلة والفتاة اللعوب ، وما تبدلت إليه
حالتها حتى صارت محومة قابعة في غرقها تنن
وتتضجر ثم قالت إيميلي :

— أغلب ظني أنني لا أستطيع الذهاب
— ولكن إطاعة الطبيب فرض واجب ،
ولعل الانتقال يكسبك الصحة والنقاة ؟
— ما أبعد ذلك عن ظني !!
— إنها كلمة الطبيب (لبارد) وهو عليم
بما يقول !

— لا ! لا أقوى على تحمل ذلك فإني ضعيفة

فأجابه صوت ضعيف النبرات لينها ، هو صوت
زوجته « إيميلي » تقول :

— لقد علمت أنه لا بد لي من مكان دافئ ،
حتى تذهب الرعدة التي تسرى في أوصال جسمي
والرعدة التي يرتجف تحتها

— أمل أن تكوني أحسن صحة هذه الليلة !
— لقد أخذت المافية تدب قليلاً في جسدي ،
يبدو أن الشك ما زال يقض مضجعي . وصمت
كل منهما وانتصب (هتن) واقفاً على قدميه ،
مسنداً ظهره إلى مظلة فوق الموقد ، ثم نظر إلى
الكلب الجاثم عند قدميه ، وأخذ يقلبه ويداعبه
بمقدم خدائه ، ويمسح صدره الأرقط وبطنه ، ثم
عاد إلى اللعب . وإذ كاد ينتصر على إيميلي أخذت
هذه ورقة فأنحاز النصر إلى جانبها بعد أن كاد
يوتلي عنها ثم قالت :

— يظن الدكتور لبارد أنه من المحتم على أن
أذهب إلى (اللاندروود ويلز) هذا الصيف !

— حسن ! فلتذهبي يا عزيزتي كيفما شئت
ثم أخذ مستر هتن يفكر في حوادث المساء
وكيف قطع الطريق هو ودوريس وقد تركا العربة
في انتظارهما عند الغابة ذات الأشجار الكثيفة ؛
ثم قالت إيميلي :

— الآن سأشرب جرعة من الماء لأطفيء
اللب المتشدد في كبدي وإن كان الطبيب يحتم عليّ
في تقريره أن أشرب الدواء ، وإجراء بعض
الملاجات الكهربائية أيضاً . وكانت إيميلي ممسكة
بقبعها ، ومن ثم أخذت تجري خلف أربع فراشات
زرق ، كن يرفرفن فوق بعض الزهور بحالة تشبه
اهتزاز اللب الأزرق ، وإن كان اللب يفنى ؛ حتى

وقالت له : « تريد التحدث إلى بالفرنسية ؟ »

ما أحبها إلى ! « وكانت تفخر بأنها لغة « راسين »

التي تحبها كما تحب طعام الفاصوليا

حينئذ أسرع (هتن) إلى المكتبة وعاد يحمل

مجلداً أصفر وشرع يقرأ لها فيه . ولقد أولى النطق

ومخارج الأصوات كل عنايته واهتمامه حتى كان

موضع الإعجاب وحتى كان لحسن نطقه أثر بالغ في

إلباس القصة التي كان يقرأها ثوباً رائماً . وما أتم

خمس عشرة صفحة حتى طن في أذنه صوت كأنه

حشرجة النفس ، فالتفت صوب زوجته فرآها قد

أسلمت نفسها للسبات العميق ، فلبث برهة يرقب

ذلك الوجه المسجى وقد عرته دهشة خفيفة ...

لقد كانت جميلة في فجر حياتها ، فلم يكن ليتطالع

إليها إلا وهو يشعر بهالة من الحسن الرفاف تحيط بهذا

الجمال الفاتن ، أما الآن فقد تبدل كل شيء ، ودب

المرض في أوصالها حتى هزأت وصارت أشبه بالوتى ،

وتجمد جلدها الأملس فوق عظام خدها البارزة

وأرنبه أنفها المحدودب ، وغارت عيناها في محاجرهما

العميقة ، وحينئذ ألقى الصباح ضوءه على جبينها

الشاحب فبين (هتن) ما فيه من تجاعيد وأخاديد ،

حتى لا يشك من رآه في أنه وجه ميت ، فأخذته

حينئذ رعدة تمشت في جسده ، وخطا على أطراف

أصابعه وغادر الغرفة

وفي اليوم التالي نزل هتن إلى غرفة الطعام حيث

كانت زوجته قد استردت بعض صحتها المنهكة إثر نوبة

أصابها في الليل ، اشتد فيها خفقان القلب . تحملت

إيملى رغم قوتها ومضت لتشارك في إكرام ضيفتها

« جانيت اسبينس » ، وسمعت اهتمامها بأمر (اللاندورد

ويلز) بنفس ملؤها الشفقة ، غير أن ماقالته قد سمع

جداً ولست أحتمل الذهاب وحدى .

— إن كل ما تقوئين لنو لا جدوى وراءه ،

ولا بد من تحمل هذه المتاعب إن كان ثم متاعب

— خير لي أن أبقى هنا آمنة مطمئنة

حتى أموت

حينئذ تأوّه هتن تأوّهاً مرأاً وتضرع قائلاً :

— أى ربّ رحماك رفقاً بنا وسمعاً لشكائنا منك

منك . ما حيلة المرء إزاء ما تأتى به الظروف ؟ ثم

هزّ كتفيه وغادر الغرفة

ولكنه أخذ يحاسب نفسه بخافة أن يكون قد

أساء التصرف ، أو ندّت منه كلمات جارحة

لشعورها ؛ فقد كان في إبان شبابه لا يشعر بمطف

أورحة نحو الضعفاء والمرضى وذوى العاهات غسب ،

بل كان يكرههم ويمافهم ، وكان ذلك نتيجة ذهابه

ذات مرة في رحلة إلى الطرف الشرق عاد بعدها

مملوءاً بكراهية عميقة لا يمكن اقتلاعها . وبالرغم من

أنه كان يعلم بادئ ذي بدء أن هذا الأمر جدّ

عسير ، إلا أنه أخذ بمضى الزمن يطمئن إليه ،

وترتاح له نفسه ، فأصبح لا يشعر بوخز الضمير ،

بل غدا ذلك سجيّة فيه وطبعاً ... لقد كانت

(إيملى) صحيحة حسناء عند اقترانه بها ، وقد بادلها

الحب إذ ذاك ، لكن ما باله الآن يعد نفسه غير

مسؤول عما آل إليه أمرها ؟ . تناول هتن الغداء

بمفرده فآثر الجوّ في نفسه ، وإذا بثورته تنقلب هدوءاً

أو ما هو أشبه بالهدوء ، ولكي يكفّر عن التهور

الذى بدر منه دخل غرفة زوجته واستأذنها ،

وكانت دلائل التوبة والندم واضحة على محياه وتكاد

تنطق بهاعيناه ، وسألها أن يقرأ لها فأذنت شاكرة له

طيب نفسه ، فاقترح أن يقرأ لها بالفرنسية فرضيت

وهنا تأثر المستر « هتن » حيث كان في حاجة ملحة إلى مثل هذه الشفقة التي كان فقدها سبباً في تضعف صحتها يوماً بعد يوم ، إلا أنه أخذ يحدث نفسه بأن كل ما حدث إنما هو إحساس بالتقدم وليس تقدماً حقيقياً . إذ الشفقة لا تداوى الكبد المريضة ولا القلب الضعيف

عرف هتن أن زوجته خالفت أمر الطبيب ، فالتهمت بعضاً من الزبيب فقال لها :

— لو أنني كنتُ إياك ما تناولتُ الزبيب بعد أن حرم الطبيب كل ما له بشرة سيكة وبذور !!

— ولكني أميل إليه وأشعر اليوم بتقدم في صحتي فقالت جانبيت : لا تغمسف في حكمك واتند في إسرارك !

ثم أجالت ناظرها في هتن وزوجته وقالت :

— دعها تأكل ما تشاء وتشتهى ، فإن ذلك يزيد لها قوة

فقالت إميلي : « شكراً لك يا عزيزتي » ، ثم نهضت لتناول بعض الزبيب المغلي . فقال هتن :

— إذن لا تلوميني على شيء إن مسك ما لا أحب من جراء ذلك !

— وهل كنتُك على شيء من قبل ... ؟

— لأنك غير واجدة مغمزاً تلوميني عليه ، لأنني زوج وفي

أخذ الجميع مجلسهم في الحديقة بعد تناول الغداء ، وهم يصوبون أنظارهم في هذه المروج الفسيحة المجللة بالزنبق والأزهار المتلاثة بنورها الممدنى ، وكان دفع الهواء المعطر قد أدخل شيئاً من السرور على قلب مستر هتن ، فتنفس في قوة ثم قال :

مراراً حتى مجته الأسماع وتعودته ، ثم انكأ بصدرها إلى الأمام ، واندفعت في الكلام كأنها في قذيفة انطلقت ، وكأنها استجالت إلى آلة أوتوماتيكية تخطر من أمامها وإبلاً من الكلمات الدالة على الرأفة وجارها هتن ، يئد أنه كان يستعمل عبارات أدبية أو فلسفية من مقولات مترلنك ومسر بيرانت وبرجسُن ، ووليام جيمس ، وكأن قذف الكلمات أصبح نوعاً من الدواء . وأخذت مسر (هتن) تتكلم عن الأرق وبالغت في شأن العقاقير ومزايها الطبية ، وكان حديثها أشبه بزهرة تستقبل الشمس أخذ هتن ينظر في سكون ودعة ، كأن منظر جانبيت سبنس قد بعث فيه دهشة قوية ، ولم يكن الرجل ذا خيال خصب ليصور لنفسه أن كل وجه يخفي تحته فناً من النقد لقياس جمال الأشياء وغرابتها ، حتى إن حديث كل امرأة عنده وإن قل شبيه ببنار معقود فوق خليج مجهول ، فهذه زوجته ودوريس مثلاً لا يزيد مظهرهما شيئاً على باطنهما ؛ أما جانبيت سبنس فقد كانت من نوع آخر ، فهنا يتأكد الناظر أن خلف تلك الحواجب الرومانية وبسمة الجيو كونداهذه وجهاً غريباً . ولعل السؤال الوحيد هو ما ماهية ذلك السر الذي لم يستطع هتن كشف الستار عنه ؟

ثم دار الحديث بين مسر هتن وبين جانبيت التي قالت لها :

— قد لا تذهبن إلى « اللاندرود » بعد ؛ ومتى تحسنت صحتك عاجلاً فإن الطبيب لبارد يرجع في طلبه ؟

— هذا هو رجائي الوحيد ، وإني لأحس بالعاوية اليوم تدب في أوصالي الملهوكة

أفّ له ما أبشعه من دواء ! إلى بالقهوة كي
تذهب غضاخته

فأعطتها جانيت ما طلبت وأخذت ترشف منه
نملات كبيرة وهي تقول لجانيت

— لقد صيرته كالشراب ولكن لا بأس
فذلك خير ما يكون عقب مثل هذا الدواء الشديد
وفي منتصف الساعة الرابعة أحست المريضة
بشيء من التعب يخذل أعصابها ، ولم تكن تشعر
بمثله من قبل ؛ ومن ثم يمت شطر حجرتها
لتنام وترج جسدها . وكاد هتن أن يقول شيئاً عن
الزبيب ولكنه تمالك نفسه وغير موضوع حديثه
بقوله لها :

— ما أسرع تأثيره ! ألم أخبرك بذلك من قبل ؟
ثم أخذ بيدها ليساعدها على الدخول وحاول أن
يطمئن خاطرهما المضطرب ونفسها المكدودة بقوله :
— ستشعرين بالصحة متى استرحت ، ولعل
لا أعود إليك إلا بعد الظهر وقد عادت إليك صحتك
وراحتك :

— وإلام تذهب ؟
— سأذهب إلى جونسن هذا المساء كما تعلمين
لتحدث في ذكرى الحرب
— بودي ألا تذهب !
ثم اغرورقت عينها بالدموع وقالت :
— أما تستطيع البقاء بجاني اليوم فأني
أستشعر الوحدة !

— وما الحيلة يا عزيزتي وقد واعدته منذ
أسابيع ، ولكنني سأمضي الآن لأبحث عن جانيت
فقبلها بين عينها ، وخرج إلى الحديقة حيث
استقبلته جانيت بشوق ولهفة ثم قالت :

— ما أبهج الحياة لو كنا خالدين !

فرفعت زوجته يدها إلى الشمس ثم قالت :

— سنخلد لو كان فيها ثم خلود !

وإذ ذاك أحضرت الخادم القهوة في أباريق

فضية ، وفناجين بنفسجية ، ورتبتها على المنضدة
بالقرب منهم فنادتهم مسرعتة قائلة :

— أين الدواء يا كلارا ؟ أسرعى إلى به في

زجاجته البيضاء

فقال هتن : وسأذهب لأحضر لفافة من التبغ

ثم أسرع إلى داخل المنزل . وبينما هو يعبر

الدليلز التفت فجأة إلى الخلف ، فأبصر الخادمة

تمشي في الحديقة ، وزوجته متكئة على مقعدها

منهمكة في فتح فدام قارورتها . أما جانيت استبس

فقد كانت مستندة على المنضدة تصب القهوة فسألت

مسرعتة هتن :

— أتحيين السكر يا إميلي كثيراً ؟

— نعم ! شكراً لك يا عزيزتي : أكره منه

لأنني سأمر بها بعد الدواء ، كي تذهب بغضاخته

ثم أسندت رأسها إلى الوراء ، وأمالت قبعتها

على وجهها لتخفي عن نظرها رؤية الشمس والسماء

ووقفت خلفها جانيت ثم قالت لها :

— لقد وضعت لك ثلاث ملاعق ستذهب حتماً

بمرارة الدواء . والآن ها هو ذا هتن قد أحضره معه

أجل لقد ظهر هتن يحمل زجاجة خمر ملأى

بشراب قاتم ناوله لزوجته قائلاً :

— ما أطيب رائحتها !

— وذلك أحسن ما فيها

ثم جرعتة مرة واحدة اقشعرت بملها وقد

ارتسمت أمارات العبوسة على وجهها وقالت :

حيث كانت تنتظره « دوريس » عند منطف الطريق ، فتناولوا الغداء معاً في فندق يبعد عن البيت عشرين ميلاً . ولقد جمع الغداء بين الرداءة والاسراف فقد طهى في فندق قروى أعدلسائقى العربات . وإن يكن قد ساء هتن فقد سر « دوريس » التى لم يكن الكدر يعرف إليها سبيلاً ، وطلب هتن زجاجة من الشمبانيا . ولما أخذوا طريقهما إلى البيت كانت دوريس على حال عظيمة من النشوة ، وكان الجو أدكن ، ولكن الناظر إلى الأمام كان يرى شبح السائق الساكن ، وشريطاً من الأرض تنيره أضواء المصابيح الأمامية للسيارة

بلغ هتن منزله وقد قاربت الساعة أن تدق مؤذنة بانتصاف الليل ، فلقى الطبيب لبارد في بهو البيت وكان رجلاً قصير القامة كريم الكفئين ، حسن الصورة ، أشبه بالنساء ، واسع العينين أحكهما . وكان يقضى وقتاً طويلاً بجانب مرضاه يخفف عنهم آلامهم بلطفه ورقته ، مما يبعث السرور إلى النفوس ، وإن كانت مسحة الاثران لا تفارقه أبداً . سأل هتن الطبيب :

— أى دكتور لبارد ! أراك هنا ! أما زالت إمبلى مريضة ؟

— لقد بحثنا عنك طويلاً في بيت جونز فلم يقف لك أحد على خبر هناك

— بلى ، لم أكن هناك إذ حال بينى وبين الذهاب إليه قاهر

ثم قال في نفسه : « ليس هناك أشد من أن يحتجب الإنسان خلف ستار من الكذب »

فقال الطبيب : لقد كانت زوجك عطشى متلهفة إلى رؤيتك

— إن زوجتك في شدة المرض !

— ولكنها ستسر كثيراً بحضورك

— إن ذلك الدواء مزعج فقد جعلها في مثل هذه الحال ، وقد ضعفت قوة هضمها . حقاً إن معدتها قد اضطربت ، وأخشى أن يحدث شيء ما ! — من يدري ؟ ربما لم يفحصها لبارد تماماً !

ثم فتح باب الحديقة الخارجى المثل على الطريق حيث كانت عربية جانييت في انتظارها لتستقلها في العودة إلى منزلها ثم قالت :

— إن لبارد طبيب قروى وخير لك أن تستشير طبيباً إخصائياً

— أراك تكبرين من شأن الإخصائيين

فرقت جانييت يدها محتجة وقالت :

— إن حالة زوجتك قد بلغت حداً من الخطورة يستوجب الشفقة والرأء ، وإنى لجادة فيما أقول وأخشى أن يحدث ما ليس في الحسبان ؟

فأمسك هتن بيدها وأدخلها العربة ، وأخذ السائق مكانه فيها ، وتأهب للانطلاق . ولم يكن هتن يرغب في أن يطيل الحديث معها فسألها في رقة :

— هل تسمحين لى أن آمره بالسير ؟

فالت نحوه وابتسمت له بسملة الجيوكوندا فقال لها :

— تذكرى أنى في انتظارك لتعودى إلى رؤيتى ثانية عن قريب

على أنه قد تضجر وإن يكن قد لزم حدود الأدب . وما إن تحركت العربة حتى ودعها بيده ، وسره أن يبقى وحيداً

مضت بضع دقائق انطلق بعدها « هتن » إلى

وعلى كل حال فقد انقضى الأمر واستراحت فلن
تحس ألماً بعد

— ٣ —

« يا للحسرة ! وافق يوم تشييع الجنازة يوم
مباراة إبن وهارو »
هكذا قال الجنرال « جريجيو » وكان واقعاً
تحت مظلة الكنيسة ممسكاً قبعته الطويلة بيمنه ،
ومجففاً العرق من جبينه ومحياء

سمع هنن ذلك القول قبل أن يشعوره على الرغم
منه بعد أن كاد يمس الرجل بأذى في بدنه ، وقد
كان يوده أن يوجه إليه لكمة قوية في وجهه الأحمر
العريض ثم قال :

— أيها الحيوان الضخم المجمع الوجه ، أليس
للميت عندك حرمة ؟ أما تستحي من أحد ؟
ولقد كان الحق في جانب « هنن » فلم يجب
الآخر بكلمة ما ؛ أما مستر هنن فقد ألقى بنفسه
بجانب القبر يتأوه ويتنهد ويبكي زوجته قائلاً :

— إيميلي ! أيتها المسكينة ، لقد آب الجميع
يا إيميلي إلى دورهم ونسوك ، وعادت إلى أوجههم
بشاشتها وطلاقتها ، أما أنت فقد تويت في قاع حفرة
على بعد سبعة أقدام بينا « جريجيو » واقف يشكو
سوء حظه لأنه لم يشهد المباراة ! !

أخذ هنن بعد أن هال التراب على قبرها وسواه
يحدق في الجموع السوداء التي حوله والتي أخذت
تغادر ساحة الكنيسة ، إلى موقف العربات
والسيارات ، وبالرغم مما كانت تتحلى به الأرض
حينئذ من حشائش نضرة وأزهار متلائية
وأوراق لامعة ، فقد كانت دلائل الأسى مرسمة
على أوجه الجميع ، وشملهم الحزن . ولقد سرى عن

فقال هنن وقد أنجته ناحية السلم
— الآن لا مانع من الذهاب إليها

فوضع الطبيب يده على كتف هنن قائلاً :
يربيني تأخرت !

فأراد هنن أن يتخذ المعارضة سلاحاً يدحض
به أقواله فقال : « وهل تراني تأخرت » ثم مد يده
إلى جيبيه بحجة أنه يريد إخراج ساعة ولكنه
أرجعها خالية

— لقد قضت مسر هنن نحبها قبل ذلك
بنصف ساعة

بذلك نطق الطبيب الذي استمر صوته على أيمنه
ولم يفارق الأسى عينيه ، ثم أخذ يقص خبر الموت
وحالته كأنه يتكلم عن لعبة « الكريكت مانتش »
وذكر أن شتى الحيل قد وقفت مكتوفة الذراعين
لا تجدى أمام القدر المحتوم وقد انقطع كل أمل .
كل ذلك وهنن لم ينقطع عن التفكير وتذكر كلمات
جانيت اسبنس إذ قالت : « لا بد من حصول شيء
في أي لحظة » ثم قال على حدة : « حقاً ، لقد كانت
صادقة في قولها ونبوءتها »

ثم سأل هنن الطبيب قائلاً : ما الذي حدث
وماذا كان السبب ؟

فأخذ الطبيب يفصل الحادث قائلاً :

— أنها سكنته قلبية نتجت عن نوبة شديدة
عقب تناول بعض الأطعمة المحذورة
— كالزبيب مثلاً ؟

— شيء أشبه بهذا أو هو نفسه ، وقد كانت
وطأنه على القلب قاسية ، وكان من جرائه تلك النوبة
الخطيرة ؛ ولعل بعض الأجهزة قد تعطلت في الداخل

في واد ، ولكن خيل إليه أنه أقسم يمينا عظيمة ،
بحق للآلهة أن ترتبط بها ... » لقد عزمت ! ...
لقد عزمت ... ! لقد صرت بنا أعياد رأس السنة
والميلاد والأعياد المقدسة كما صرت بي تلك التوبة
الكبرى عن الخلاعة والمجون ، ومثل هاتيك الأقسام «
لقد ذهب كل ذلك بدداً ، حتى اليمين تلاشت كما
يتلاشى الدخان في آفاق الجو ، وصار كأن لم يكن .
غير أن ما كان حوله إذ ذاك كان يوحى بالرهبة ،
فألى على نفسه أن يبدل منهاج سلوكه في المستقبل ،
فيحيا حياة الرجل العامل العاقل ، ويكبح جماح
نفسه الثائرة ، ويوجهها إلى طرق الخير بعد أن
ظل طويلا يضلل النسوة ويخدعن بعبارات الحب
الموهوم والأمل الكاذب ، ولكن هاهو ذا قد عزم
ولا بد من العمل .

فكان يقضى الصباح في تفقد أعماله الزراعية
فيركب مع رئيس العمال ، ويدور حول الأرض
ليرى سير العمل فيها وما اتبع من أحدث الطرق
الزراعية وخاصة في مخازن الحبوب والأسمدة
الصناعية والحصاد ونحو ذلك ، وينفق باقي اليوم في
المطالعة الجدية ، إذ كان قد اعترم منذ رده طویل
أن يؤلف كتاباً عن « تأثير الأمراض في المدينة »
ذهب هتن بعد ذلك إلى فراشه خاشعاً تملأ
التوبة نفسه ، وتهيمن على جوارحه ، وتسيطر
على كل جارحة فيه ، وخيل إليه أن الفضيلة قد
اتخذت سبيلها إلى نفسه فنام ثمانى ساعات ، ثم
استيقظ فإذا الشمس قد شمسع نورها ، وكست
الآفاق ضياء صافياً ، بيد أنه لم يجد في نفسه أثراً
لتلك الدوافع التي أحس بها مساء بل عاد في الصباح
إلى حياته المرحية ... حياة الخديعة باسم الحب ...

نفسه بمض الشجن أن الفناء حتم على الجميع
جلس (هتن) في مكتبه ذلك المساء يطالع حياة
« ملتن » ولم يكن هناك من داع يحمله على اختيار
حياة ملتن لذاتها ، بل ان ذلك الكتاب كان أول
كتاب تناولته يده . وما إن فرغ منها عند منتصف
الليل ، حتى نهض من كرسیه وأغلق النوافذ وغادر
المكتبة إلى الردهة حيث كان الليل صافياً ساكناً .
فأخذ يصمد نظره في النجوم يتأملها ويتأمل ما بينها
من فضاء ، ثم يرد طرفه ناحية الأزهار الباهتة ،
ويسرح عينيه فيما وراء ذلك من فضاء لا يبدد وحشته
غير القمر .

أخذ بعد ذلك يفكر في قوة مضطربة فيقول :
« ها هي ذی النجوم ، وها هو ملتن ، بل
ها هو الرجل الذي شابه الليل ونجومه فما أعظم نبلة !
ولكن أحقاً أن هناك فرقاً بين النبيل وغير النبيل ؟ ..
ملتن .. والنجوم .. والموت .. والروح والجسم ..
والأرض والسماء ... لعل في هذه بعض الشيء من
النبيل ... ما الذي ناله ملتن ؟ لا شيء . وأنا ... ؟
أنا ! ... أجل ! لا شيء غير صدر « دوريس »
الصغير البض »

وتواردت الخواطر المهمة على خياله سراعاً
كأنما تستعرضها ذاكرته : ترى أيها أعظم شأنًا :
ملتن أم النجوم ؟ أم الموت ؟ أم إميلي في قبرها ؟
أم دوريس ؟ أم مستر هتن نفسه ؟ لا شك أنه أعظم
الجميع !

أف له ! لقد صار أناني الطبع ، لكل شيء
— قل أو كثر — سلطان على نفسه . وفي لحظة
سكون صاح قائلاً « لقد عزمت . لقد عزمت » غير
أن صوته كان يذهب في ظلام الليل البهيم كصرخة

والاضطراب . لقد أزعجتني الوحدة واستوحشت مني السعادة ، وحررتُ فيما أعمل وجثم خيال الموت يهددني فلا أستطيع منه خلاصاً ، وأراني بفيرك تعيسة شقية . انظر كيف أعجز عن التعبير عما أريد اخبارك به . أريد أن أراك إثر تلاوتك هذه الرسالة وعقب فراغك من مراسيم الحزن . إن سعادتني في قريك ؛ وليس لي في الدنيا أنيس سواك يا كريم الطباع ، وأخا النجدة والغوث . ولست بناسية ما حيت عطفك وحدبك . إني لتأخذني الدهشة كيف نزلت من عليائك فخبوتني لطفك وأنسك مع ما أنا عليه من كآبة وغباء كنا سبباً في ضعف حبك لي . أليس كذلك ؟

ثأر هتن من كتابها تأثيراً ألبسه ثوباً من الحياء والرحمة ، واستكثر من نفسه أن يمدحه أو يعبد ما . يا لله .. ! لقد أغرى دوريس فوقعت في حباله ... إنها طرفة من طرف اللعب الجنوني ! بل طرفة من الجهل لا يستطيع وصفها ! فرغ « هتن » من قراءة كتاب دوريس ، فإذا الجزع أقوى في نفسه من السرور . لقد خلا عمله من الحكمة وسداد الرأي

وكثيراً ما كانت تسيطر عليه رغبات وشهوات مبهمه بكاد يخضع لها ، وإذ ذاك يذكر نفسه في تأنيب أنه على وشك العودة مرة أخرى إلى غيائه القديم ، ويذكرها أيضاً بوجود كثيرات أمثال « ماجي » خادمة زوجته ، وأزيت ، ومسر برنجيل ، وغيرهن من الوصيفات في لندن وغيرها ؛ غير أنهم جميعاً — وأأسفاه — قد أدر كهن الكبر ، ووسمهن الهزال بميسمه . ومن يدرى فلربما يأتي عليه وقت يدركه ما أدر كهن ، بيد أن كل هذه التجارب لم تؤثر فيه شيئاً

وتلاشت المهود والوائيق التي قطعها على نفسه ، فكان ملتن ، وكأن الموت قد تغيراً في ضوء النهار عما كانا عليه في ظلام الليل . أما النجوم فقد حجبتها الشمس ، وأما عزمه فقد كان يرى شبحه في ضوء النهار كما يراه في حجب الدجى ، لذلك امتطى صهوة حصانه بعد أن تناول طعام الإفطار وأخذ يطوف مع رئيس عماله . وعند الظهر تناول وجبة الغداء ثم جلس يقرأ كتاب « تكديس » عن « الطاعون في أثينا » وفي المساء وضع بعض مذكرات عن الملائيا في جنوب إيطاليا . وعند ما شرع في خلع ملابسه تذكر أن هناك قصة طريفة في كتاب « إسكاتولد » عن الوباء الأسود ، فعزم على أن يكتب عنها فصلاً إن عثر على قلم رصاص

مرت خمسة أيام من حياته الجديدة ؛ وفي اليوم السادس عثر هتن بين خطاباته على رسالة قد كتب عنوانها بخط بين بين ، عرف منه أنه من لندن « دوريس » ففضه وشرع يتلوه ، فوجد كلمات لا ترمي إلى جمع واحد ، إلا أنه استشف من قولها وجود حالة تشبه الحال التي ماتت بها زوجته ، فكان في ذلك ما أزعجه ، وحدا به إلى التهنيد ؛ غير أنه تمالك شعوره ، واستعاد إحساسه ، وتابع قراءته ، وهذا نص رسالتها :

« أجيل ! إن الموت شيء مرعب ، غير أنني لا أفكر فيه ما دمت منه بنجوة . أما إذا حل مثل ذلك الأمر ، أو ألم بي مرض ، أو أحاط بي كدر ، فتراني لا أتمالك نفسي من التفكير فيه كأنه قريب مني ، وأستعيد في خيالي كل ما قدمت يداي من إثم كما أفكر في نفسي ونفسيك ، ويأخذني القلق من جراء ما سيحدث في المستقبل ، فيدركني الخوف

فتجلى فيها مثال من الجمال العبقري خليق أن يشتهي ،
وتراى جمالها الساحر يعزى ظمأه ، فعلام يشكو
هتن ، وقد رقدت بجانبه تلك الفتنة ؟ وما الذى
تفيدة وقد ضاع الأمل فى أن يكفكف من حدة
مجنونه ، أليس الأولى أن يستفيد من ضياع ميثاقه
وعهده ؟

وإذ ذاك تسربت إلى نفسه فكرة براقة يحدوها
الشباب الجامع ، فكرة لا تأبه بالعواقب ، ملأت
عليه جميع أرجاء نفسه ، وخيلت إليه أنه حرٌّ يفعل
ما يشاء

وفى لحظة أسلم فيها قياده للشباب جذب الفتاة
نحوه ليروى نفسه من نبع ذلك الجمال ، فانتبهت
«دوريس» مذعورة ، وأفادت على سبيل قبلاية الحارة
التي أودع فيها روحه الفتية وعواطفه الملتبسة !!
تحولت عاصفة رغبته إلى نوع من المرح ، وكأن
الجو والعالم وكل شيء كان يشاركه فى ضحكة الهادى !
تلقت أذنا هتن سؤالاً عذباً من دنيا الحب
النائية بسأله :

— ترى هل أحببك شخص مثل حبي إياك ؟
— أظن أن هناك من سألنى هذا السؤال قبلك !
— ومن ذاك ؟ أخبرنى ! ومن تعنيه بقولك ؟
وكان الصوت صوت (دوريس) وقد احتاجت
نبراته بالغضب ، فقال هتن متنهداً :

— آه !

— من ذاك ؟ أخبرنى !
— لا تذهبي بعيداً مع الظنون ... هى جانبيت

اسبنس

— (فى دهشة) جانبيت اسبنس ؟ تلك المرأة
المعجوز ؟ يا للعار !

عاد هتن فتذكر « دوريس » المسكينة ، وكأن
نفسه نجت من تلك الخدائع التي يموء بها على
النساء ، وعافت الخديعة باسم الحب والهوى ، فعزم
على أن يكتب إليها كتابة ملؤها العطف والرحمة ،
دون أن يبعدها بالحضور ، ولكن الخادم قطع عليه
سلسلة تفكيره ، إذ جاء يخبره بأنه قد أسرج
الحصان ، فهض وركب وذهب مع رئيس عماله
الذى كانت أمارات الكتابة متجلية على محياه
ذلك اليوم

مرت خمسة أيام شوهد إثرها « هتن » ودوريس
جالسين على مقعد حجيرى فى « سوٲ إند » وكانت
دوريس ترتدى قميصاً حريراً مطرزاً بأشرطة حمراء
يعلو وجهها البشر والسرور ؛ وكانت رجلاً هتن
ممتدتين إلى الخارج ، معتمدتين على كرسي ، وقد
أزاح القبة إلى الخلف ... وفى تلك الليلة بينما كانت
دوريس نائمة بجواره ناعمة بالدفء والراحة وقد
سرت أنفاسهما هادئة تهوّم فوقهما كأنها تحرسهما ،
إذ تملكه فى هذه الساعة — ساعة الظامة والتعب —
ذلك الوازع الذى تملكه من نصف شهر تقريباً ،
حينما أخذ على نفسه ما لم ينفذه ، وما ذهب كما
ذهب أخ له من قبل ، وهكذا تغلب الشر على
الخير ، والجهل على العقل ، إذ خارت عزيمته
عن تنفيذ أول خطوة من المبدأ الذى رسمه لنفسه

قضى هتن فترة طويلة من الوقت مغمضاً عينيه
كالنائم يعالج خنوعه أمام داعى الخيبة حتى تحركت
دوريس فى فراشها فالتفت إليها ، وقد تسرب من
خلال الستارة الرقيقة الشفافة نور خفيف أظهر
ذراءها المارية البضة وكتفها الجليل ، ورقبتها
وجداول شعرها الحالك السواد ملقاة على الوسادة ،

فصّحك منها هتن بلء فيه ثم قال :

— إن ما أقوله هو الحق ، وإنها لتجبنى

جباً جباً

وأكد لدوريس أن لا بدله من أن يزورها

وأضاف إلى ذلك قوله :

— وأعتقد أنها تبني الاقتران بي !!

— لكنى لا أراك فاعلاً ولا عازماً !

فعاد هتن إلى الضحك وقال وقد خيل إليه أنه

يقول أحسن نكتة قالها :

— أود أن تكونى زوجتى !

ولم يفادر « هتن » فندق « سوت إند » حتى

كان قد تزوج مرة أخرى ، لكنهما اتفقا على أن

يكون أمر هذا الزواج سرّاً حتى إذا حلّ الخريف

وذهبا إلى الخارج ، شاع الأمر بين الناس ثم أردف

ذلك بقوله :

— أما الآن فسأذهب إلى منزلى كما تمضين أنت

إلى منزلك

وفي مساء اليوم التالى مضى هتن لزيارة جانييت

اسبنس فاستقبلته ببسمتها القديمة بسمه الجيو كوندا

ثم قالت :

— لقد كنت متمطشة إلى لقائك

وما كنت لأستطيع الصبر عن لقائك

ثم جلسا فى البيت الصيفى الجميل الذى كان

فيما مضى معبداً قائماً وسط أحراج كثيفة خضراء

فقال هتن يجاذبها أطراف الحديث :

— لقد عزمتم أن أسافر إلى إيطاليا هذا

الخريف

فقالت جانييت ، وقد أغمضت عينيها فى إغراء

كانها فى نشوة الخمر وقالت :

— إيطاليا ! إيطاليا ! لقد وافق عزمك

ما جمعت عليه نيتى

— ولماذا تريدن الذهاب ؟

— مالى غرض خاص ، إنما قد يفقد المرء

نشاطه أحياناً إذا أراد السفر إلى الخارج وحده

لأول مرة

— أف للوحدة ! ليس فى سفر الانسان مفرداً

أية لذة

واضطجعت جانييت فى مقعدها صامتة ، مسبلة

الأجفان ، وأخذ (هتن) يمسح شاربه ، وطال

الصمت بينهما ، وحن وقت الغداء ، ودُعِيَ هتن

إلى تناوله فلبى على عجل ، وابتدأ حبل المزاح يزداد

قوة بينهما ، ووضعت السائدة فى الشرفة ، وأخذ

يطلان من خلال أقواسها على الحديقة الممتدة إلى

الوادي المنخفض والتلال البعيدة ، ثم فاض التور ،

وعمّ السكون ، واشتدّت الحرارة وحلّقت غمامة

فى الأفق ، وهدرت أصوات الرعد من بُعد وهى

آخذة فى الاقتراب ، وعب عباب الريح ، وتكاثف

الرذاذ التساقط متنبئاً بالطر وأخذت العتمة تغمر

السكون ، وإذاك صمت كل من جانييت وهتن ،

ولكنها قطعت هذا الصمت بقولها :

— أظن أن لكل امرئ حقاً محدوداً من

السعادة ؟ أليس كذلك ؟

— لا شك فى هذا ، لكن ما الغاية التى

تقفوا أثرها ؟ ليس فى استطاعة أحد أن يدلى بآراء

قاطعة عن الحياة ، إلا إذا أراد أن يتكلم عن نفسه ،

أما السعادة ...

ثم توقف عن الكلام فجأة ، إذ عاد بفكره إلى

سابق حياته يستعرضها ، ورأى تلك اللحظات التي كانت مفعمة بالسعادة والهدوء الذي لم يكن ينقصه عليه سوى سحب جهام من الأحران لا يلبث أن يتلاشى ... لقد كانت الأموال شيئاً عادياً . لقد كان أسعد حظاً من غيره من بني جنسه . أما الآن فقد فقد السعادة فحسب ، وعرف أن عدم الاكتراث سر الابتهاج . وكان في نيته أن يقول شيئاً عن سعادته لولا أن قاطعته جانييت بقولها :

— إن مثلي ومثلك خاليقان أن ينالا حظاً من السعادة وقتاً ما من حياتهما
— أمثلي أنا ؟

— آه يا هنري السكين ! إن القدر لم يعامل أحداً منا بما يرضيه

— ها أنت ذا مسرورة وذلك من شجاعتك ، لكن لا تظني أنني لا أستشف ما وراء القناع ثم تكلمت جانييت اسبنس بصوت أخذ يزداد ارتفاعاً كلما ازداد المطر أنهما رآ ، كما أخذ الرعد يتقطع في فترات بين حديثها فقال لها هتن :

— لقد عرفتك جيداً منذ زمن طويل إذ ذاك طافت بها بارقة من الأمل الممسول ، فاذا بنفسها قد امتلأت بالأفكار وحفزها العزم على أن تقول شيئاً ، وقد اتكأت بصدرها عليه وحدثت عيناها ، كأنهما رصاصتان ثم طواها الظلام في غمراته فقالت :

لقد أصبحت وحيداً نفتش لك عن رفيق ، وإني خليقة بالشفقة عليك في وحدتك ، بل في زواجك ...

ولكن الرعد قطع عليها حديثها ، ثم عاد صوته إلى الظهور مرة أخرى آخر هذه الكلمات :

— إنك في حاجة إلى رفيقة
فردّد قائلاً : رفيقة لي ؟ ما أبعد ذلك عن الدعابة ! جورجيت لبلان رفيقة «موريس ماترنك» السابقة ...

على هذا النحو صورته جانييت اسبنس في خيالها أي أنه رفيق الروح . أما دوريس فقد مثلته برمز السكّال وأنه أكثر الناس مهارة ، ثم قالت جانييت وقد اعتمدت يديها على ركبتيه :

— لقد طار إليك قلبي صريراً وفي وسمي أن أعرف السبب ؛ لقد أصبحت وحيدة مثلك ، فما أصبرك ؟ !

ثم صرت عليها بارقة أخرى فاذا بها مضطربة النفس إلى درجة ألجأتها إلى أن تقول :

— ما أراك تشتكي وأغلب ظني أنك تشكو !
— ما أعجب أمرك !

زجر الرعد ثانية ، وانهمر المطر في شدة كأنه قهقهة المجنون فقالت جانييت :

— أما تحس في أعماق نفسك بشيء له صلة ما بتلك العاصفة ؟

ثم اتكأت على صدره بجسمها اللدن وتابعت حديثها قائلة :

— إن الهوى بصير الإنسان أشبه بالعناصر الفعالة ...

فلم يجز جواباً وظل كالشده ثم قال : نعم ! ثم استولى عليه الخوف على غرة ، وبحول ما فيه من جرأة إلى سكون وذهول . لقد أرعبته جرأتها وصراحتها المتناهية ، أما هو فقد قال :

— الليل والهوى ؟ إنني لا أخلو منهما
بيد أنها تصنعت عدم الإصغاء إلى حديثه ،

يجعلني أحترمك وأعجب بك . والآن أسمح لي أن أقول كلمة ياهتن ؟

وعاد هنري يفكر في مسألة اللص الموهوم والشبح ، ولكنه وجد أن ذلك قد تأخر وقته ، فعادت هي تتابع قولها :

— نعم ، كلمة واحدة ، تلك هي إنني «أحبك» وها نحن الآن في أتم الحرية !
— وما شأن هذه الحرية ؟

وحدثت حركة في الظلام ، فاذا بجانبك راحة بجانب كرسيه ثم تقول :
— لقد استوحشت مني السعادة أنا الأخرى يا هنري !

وإذا بها تعانقه في لهفة ، وإذا به يحس من حركاتها أنها تنهد ، فأحس بالحرارة تسري في جسده ، وخيل إليه أنه لولا بقية من الخجل لصاحت :
« الرحمة » ، وتصنع الجذ ، فقال :

— عليك أن تتمنى عن هذا يا جانيت ، فليس هذا وقته . فلهذا عواطفك ، ولتمضي إلى فراشك ثم أخذ يرت بيده على كتفها ، وتخلص من بين يديها ، وتركها جاثمة على الأرض تنذب حظها بجانب الكرسي الذي كان جالسا عليه . فأخذ يتحسس طريقه وسط البهو ، غير متذكر قبعته التي خلفها ، ثم غادر المنزل معملا فكره في أن يقفل الباب الخارجي دون حدوث أي صوت . كانت السماء إذ ذاك قد انجلى عنها الغمام ؛ غير أن الطريق كان مترعاً بالماء ؛ وكان يرن في هذا السكون صوت المياه المتدفقة من الميازيب ، والنحدرة إلى الحفر ، فأخذت قدما هنري تترديان في تلك البرك التي لم يأبها لها

وأخذت تترنر في الحديث الذي لم يكن يسمعه أحد إلا وهو يعتقد أن الحب العنيف هو الذي ينطقها ثم همست قائلة :

— لعله لم يفهم مغزى ما أقول !
ومن ثم أخذت تسرد على مسامعه قصة حياتها في هدوء حتى يستطيع أن يفهم ما تقول ، وفي هذه الحال أخذت فترات انقطاع البرق تطول ، وتزداد تبعاً لذلك مدة الظلام ، غير أنه كان يراها تخلق فيه بقوة متجهة بصدرها إليه مما يدعو إلى الريبة وبطل من عينها برق التمني والإغراء ، وانهمر المطر أكثر من ذي قبل فالتصقت به . وأبرق البرق فرأى « هتن » وجهها يعلوه قناع جميل تترجرج من تحته عينان واسمتان ، وفم صغير جميل ، وحاجبان عريضان ، فكانت أشبه بالرومانيات ، ولكن ما أشبهها بجورج روبي !

عرف هتن حينذاك ما ترى إليه فأراد أن ينقذ نفسه منها ، وفكر في مهرب يتخلص به من هذا المأزق الحرج . أيدعى أنه رأى لصاً ثم يناديه أن قف ويقفز ويمدو خلف شبحه الموهوم ؟ أم يدعى أنه أصيب بخفقان في قلبه ؟ أم يدعى أنه لمح شبحاً وليكن شبح إميلي في الحديقة يخطر في حلوكه الليل ؟ وشغله التفكير في هذه الأمور الصبانية عن الالتفات إلى جانيت وحديثها ولم يردده إلى عالم الحقيقة إلا مسة رقيقة من يدها ، ثم قالت :

— إنني أهلك من أجل ذلك يا هتن فقال في سريره : ومن أجل أي شيء تجلثني ؟ فقالت : إن الزواج رباط مقدس ، واحترامك إياه — برغم سوء حياتك الزوجية السابقة —

فيها سكنه على رايضة في جنوبها يستطيع الرء
منها أن يسرح طرفه في واد خصب يمتد في المدينة
حتى يصل جبال «مورلو» الباردة ، ثم يمتد شرقها
إلى تلال «فيزول» الآهلة بالسكان ، ذات المنازل
البيضاء ، حيث يبدو كل شيء واضحاً نيراً في ضياء
شمس سبتمبر

سألته دوريس قائلة : أتم ما يشغل بالك من
أمر جدّي يا هتن ؟
— شكرآ لك ، لا يهمني شيء !
— أفصح وأخبرني
— ليس عندي ما أخبرك به يا عزيزتي
ثم استدار ناحيتها مبتسماً وأخذ يرت على
كتفها قائلاً :

— أولى بك أن تأوي إلى فراشك فإني أخاف
عليك حرّ هذا المكان
— حسن ما تقول ، ولكن هلا تذهب أنت
أيضاً إلى الفراش ؟

— حينما أفرغ من مضغ هذه اللقافة
— لك ماشئت ، ولكن أرجو أن تسرع
ثم أخذت تنحدر من على الدرج ببطء و تراخ
وانجهدت إلى الداخل . وهكذا ظل هتن وحده يتأمل
جمال فلورنسا شاكراً للظروف تلك الوحدة التي
كان يتمناها للخلاص من دوريس ورغبات هواها
الجامح ، التي لا تعرف حداً ولا شعباً . لم يذق
« هتن » حتى هذه الساعة آلام الحب وطاغوته ،
ولكنه يجرب آلام المحبوب المطلوب ، وبذلك
كانت هذه الأسابيع الأخيرة فترة المتاعب ، حيث

أما جانبيت فما كان أشد بلواها ؛ لقد كانت الحسرة
تطل من عينيها ، ويحتم الأسى على أنفاسها . لقد
فكرت في أن تنتقم لنفسها ، وويل للرجل إذا
فكرت المرأة في الانتقام منه !

لنرجع إلى مآلاته جانبيت بشأن الهوى والميل .
لم يكن هذا سوى قصة قديمة منبوذة ، ولكنها
كانت حقيقة ملهوسة . لقد كانت أشبه بسحابة
سوداء مشحونة برعود الكهرباء ، أما هو فكان
أشبه بينيامين فرانكلين إذ أرسل طيارته إلى
صدر ذلك الوعيد ، ثم هاهو ذا الآن يشكو ، وقد
نجحت العويته

كل ذلك وما زالت المسكينة خاشعة قابضة بجانب
المقعد . ترى ما الذي أزعجه ؟ ولم لم يتابع مداعبته ؟
لماذا تخلى عنه « عدم الاكتراث » وما الذي رده
عاقلاً في طرفة عين ؟ يتحمل زمهرير الجو بلا ضجر
ولا تأفف ؟ أما هو فلم يكن ليعرف لهذه الأسئلة
من جواب ، ولم يعد يرى في فكره سوى فكرة
الفرار ، وكان تنفيذها شاغله الوحيد

— ٤ —

سألت دوريس هتن قائلة :

— ما الذي يشغلك ؟

— لا شيء !

ثم ساد سكون ظل خلاله هتن لا يتحرك ،
متكئاً بمرفقة على سياج الردهة ومعتمداً بذقنه على
يده ، ومظلاً يبصره يشاهد فلورنسا التي اختار

فالتفت حوله فإذا بالخادمة في الحديقة تقطف بعض الفاكهة ، وكانت شابة من نابلي شرد عقلها فأخذت طريقها نحو الشمال حتى وصات فلورنسا . ويلوح عليها أنها من الطبقة المتعلمة وإن فسدت أخلاقها كما تدل سجناتها على أنها من الطابع الصقلي ، وقد ارتسمت على وجهها دلائل القبياء ، وليس بها من أثر للجمال ، إلا دلائل الشراسة المزدولة ؛ ونحت ثيابها السوداء الكثيفة تكهن هتن بوجود جسم قوى ممتلئ ثابت ، فأخذ ينظر إليها في دهشة وريبة ، ثم تحولت تلك الدهشة إلى رغبة ، ثم أصبح ذكرها لديه كشعر ثيو كريتوس القصصى حتى قال عنها : « هكذا تكون المرأة » غير أنه تأسف أن لم يكن من طبعه مناداتها ، وقد أصبح يعجب بها ، ولكنه صاح بها :

— أرميدا ! !

فأجابته ببسمة جذابة أكدت ما وراءها من معنى ، فأدرك هتن الخوف من الوقوع مرة أخرى في الهاوية ، فرأى من الخير أن يتراجع بسرعة قبل أن يتردى في الحفرة ، بيد أن الفتاة لم تزل تنظر إليه نظرات مبهمه ، ثم نادته قائلة :

— ها ! شباتو ! !

فتمعجب هتن ثم قال على حدة : أعقل أم غباوة ؟ لا رجحان لواحد منهما الآن . على أن النبأ لم يزل واضحاً ملوساً ! « ثم أجابها في صوت مرتفع قائلاً :

— اسكندو !

ثم أخذ يعُدد السلام الموصلة من الربوة إلى الحديقة وهي نازلة بقوله : « إلى تحت .. إلى تحت .. إلى تحت ... » حتى أتى على الاثنتي عشرة درجة ،

ظلت « دوريس » ملازمة له كالقريب ، لذلك ما كان أعظم فرحه بالوحدة الهادئة

انزع هتن من جيبه رسالة وفضها على مضض ، فقد أصبح يمت الخطابات لما تحويه دائماً من أخبار غير سارة ، خصوصاً عقب زواجه الثاني . كان هذا الخطاب من لدن أخته ، فأخذ يرغى ويزبد عند تلاوته وقراءة مثل هذه العبارات « بسرعة ، الظالمة الطائشة ، الانتحار الاجتماعي — شديدة البرد في قبرها — شخص من الطبقة الدنيا » كل ذلك كان يأتيه تباعاً في كل رسالة يرسلها إليه قريب صادق النصيحة والود ، صافي التفكير . أخرجت هذه الكلمات صدره حتى كاد يهم بتمزيق الرسالة لولا عبارة لمحمها في ذيل الصفحة الثالثة ، اضطرب قلبه عند قراءتها إذ كانت مزعجة مثيرة للنفس الهادئة وهي أن جانييت أخذت تطوف على كل إنسان تخبره أن هتن قد دس السم لزوجته إميلي حتى يخلو له الجو ، فيبني بدوريس . فما أشنع هذا الحقد من رجل متواضع لطيف الأخلاق كما كان يدل عليه مظهره . ومن أجل ذلك غدت نفس هتن كالرجل من الغيظ فشرع يتسلى بذكر الأسماء وسب تلك المرأة

وفجأة رأى سخرية موقفه فقال على حدة :

« لو علم الناس مبالغ ما تحملت وما آل إليه أمرى من البؤس لما صدق أحد فكرة دس السم لزوجتي لأحظى بدوريس . ولكن ما الذي نالته من ذلك جانييت العزيزة المسكينة . لقد أرادت أن تلبس ثوب الحقد فلم تفز إلا بثوب القبياء ! »

أفاق هتن من أفكاره المتشعبة على وقع أقدام ،

الجرائد هذه الفرصة وأخذتها مادة لغذاء تغذى به قراءها مدة طويلة

كانت حالة هتن حينما دعى من إيطاليا للاستجواب أمام هيئة التحقيق حالة غضب ، وما كان أعظم شأن تلك الفرية المزججة التي أدت إلى القبض عليه كأنه مجرم عاطل ، واعتزم إذا ما انتهى التحقيق - وكان واثقاً من براءته - أن يقدم دعوى أمام النائب العام طالباً الحكم على جانبيت بأشد العقوبة جزاء لها على تلك الحادثة الكاذبة

بدى التحقيق وأطلت الدلائل القوية ضده برأسها ، وبحث الخبراء الجثة فوجدوها مسممة بالزرنيخ ، وهكذا أخذ قراء الصحف يتبعون كل لفظة مما يحويه الحادثة ، كما كان القرار الأخير للخبراء أنها ماتت بالسقم

بهت هتن لسماع هذا القرار وتمجب كيف ماتت زوجته على هذه الحال . بل ما كان أشد دهشته حينما علم أن هناك مستحضرات ممزوجة بهذا السم في البيت تكفى لقتل جيش

علم هتن على أثر ذلك أن هناك مكيدة دبرت ضده ، وأنها آخذة في التعاطم كنبات من نباتات المنطقة الحارة ، ثم أخذت تشتمل وتضيق عليه حتى خيل إليه أنه سيهلك في غابة ملتفة . وبعد فحص حالة التسمم قرر الخبراء أنها تناولته قبيل الموت بثمانى أو تسع ساعات (أى حالاً مضى هتن ليحضر الدواء وحينما أفرغت جانبيت القهوة) لذلك وجهت جانبيت هذا السؤال إلى الخبراء :

— اتقصدون وقت الغداء ؟

— أجل !

وهكذا رأى هتن نفسه يخرج من غم إلى غم ومن ظلمة مملوءة بريح وبرد إلى هاوية مملوءة بوحل التفكير .

— ٥ —

شغلت قصة هتن الصفحة الأولى من الجرائد عدة أيام حتى بلغت من الشهرة مبلغاً لم تصل إليه قصة أخرى منذ أن غطى « جورج سمث » على حوادث الحرب الأوربية لاغراقه عروسه السابقة في حمام ساخن . ولقد كان من جرّاء ذلك أن ثارت ضحكات الجمهور من أجل قصة قتل ظهرت في الوجود بعد أشهر من وقوع الجريمة . وهنا يتجلى الشعور بأن هذه الحادثة جديرة بالاهتمام في تاريخ الإنسانية لتدريجها ، ولأنها تفصح عن تصاريف القدر في تحريك أعنة البشر . كان أسلوب القصة يقول إن رجلاً خبيثاً حركه هوى فاسد ، فقتل زوجته وقد قضى شهراً ملوثاً بالجريمة تحت ثياب البراءة المزعومة ، لا لينجو ، بل ليقع أخيراً على أبشع صورة في الحفرة التي أعدها لغيره . وهما هي ذى الجريمة يتكشف عنها الستار ، ويماط عنها اللثام . وهما هي ذى القضية تعلن ، وهكذا أخذ قراء الصحف يتبعون بكل يقظة ما تجرى به يد القدر في هذه الحادثة الغريبة

كانت هناك إشاعة مبهمة لكنها جديرة بالعناية رددتها أفواه جيرانه وقام البوايس أخيراً بضبط الحادث وإجراء اللازم ، كما أخذت ظروف القضية ترتيبها في التحقيق ، ثم التحرى ، ثم شهادة الخبراء فالرافعة للحكم ، كأنها قصة روائية ، وقد استغلت

تفكيره وحديثه النفساني . تأوهت دوريس فجأة وهي تقول :

— إنها خطيئتي ... إنها خطيئتي ... ليتني لم أحبك ولم أسمع لك بحبي بل ليتني لم أخلق لم ينس هتن بينت شفة لكنه أخذ بنظر في سكون إلى ذلك الجسد الرطب المتمدد على الفراش ، ثم قالت دوريس :

-- لأقتل نفسي إن أصابك شيء ما !
ثم اعتدلت في جلستها وأخذت يديها في راحتها ونظرت إليه نظرات شاردة كأنها نظرات الوداع ثم قالت :

— إني أحبك ! إني أحبك ! إني أحبك !
وجذبته إليها وهو مستسلم لا يتحرك ، وعانقته ثم دفعت نفسها إليه في قوة ، وقالت :

— آه يا هتن ! لا أظنني أحببتك مثلاً أحبك الآن فما العلة ؟
تخلص هتن من عناقها ونهض قائماً محمراً الوجه قائلاً :

— كأنك تصديق أني قتلت زوجتي ، إن ذلك لمضحك حقاً ، فأى صورة تتمثلها الأذهان جميعاً لشخصي ؟ أتظنونني بطلاً من أبطال السينما ؟
ومنذ ذلك الوقت بدأ هتن يشعر بفقد اعتداله الخلق وتحويل حنقه وخوفه وارتباكته إلى غضب شديد عليها وقال :

— ما أقبح ما أثنى عليه من غباوة مرذولة !
أما عندك كـن إحساس بما يلائم عقلية الرجل المتمدن ؟ أما من سبيل إلى ذلك ؟ لعلك تظننني أني قد جئت بحبك جنوناً يحملي على ارتكاب أية

فاستدعت كلارا ثم قالت جانبيت — إن إميلي كما أذكر طلبت من (كلارا) أن تحضر لها الدواء فتطوع هتن لاحتضاره بدل الخادمة وأكدت الخادمة قول سيدتها فعادت مس اسبنس تقول :

— وفضلاً عن ذلك لم يحضر الدواء في زجاجة بل أحضره في زجاجة خمر .

أثر ذلك القول في نفس هتن فضاء غضبه وأنزله عن عرش كبريائه خوفاً وفزعاً ، وغلب على ظنه أن من السخرية أن يؤخذ هذا القول كله على سبيل الجد ، وأن يصبح حلم الليل حقيقة ، بل قد أصبح في حكم الواقع ثبوته ، ولم لا يكون ذلك وقد رأها السائق « ناب » غالباً معاً ، بل قد ساق العربية يوم ماتت إميلي ، بل قد رأها يتبادلان العتاب

أجل التحقيق . وفي مساء ذلك اليوم ذهبت دوريس تشكو صداعاً ، ولما ذهب هتن إلى غرفتها بعد الغداء وجدها تصيح تجلس بجوارها على السرير ثم سألهما قائلاً :

— ما الذي ألم بك يا عزيزتي ؟
ثم أخذ يداعب خصلات شعرها بيده ، غير أنها لبثت وقتاً طويلاً دون أن تجيبه ، فمال عليها وقبلها في كتفها العاري ، بيد أنه كان مهموماً بما شغل باله فأخذه يقول على حدة : « ماذا تم ، وكيف انقلب الهذر والفضول إلى حقيقة . كيف ماتت إميلي مسممة بالزرنيسخ ؟ ما أقبح ذلك وأبعده عن الامكان ؟ لقد انحرفت نظم الحياة ! » وطفق يستدر الرحمة من الطيش وعدم الاكتراث ثم يقول : « ما الذي حدث وماذا سيحدث ؟ » وسمع صوتاً قطع عليه سلسلة

العزم على أن يرجع إليها مهما كلفه ذلك من نزوله عن كبريائه . ولقد كان يستعجل الخطى ليراها ، فلما دخل البيت وقف متردداً يفكر في ألفاظه التي فاه بها أمامها مخافة أن يكون قد جرح شعورها ، أو آلمها ؛ وشعر بالندم يحز في نفسه ، ويهيمن على إحساسه

دفع الباب ودخل الحجرة فوجدها مستلقية على الفراش مهمومة ، فأرأته حتى تبسمت بسمة تمثل فيها دلائل الإخلاص والحب الذي يتطوى عليه فؤادها له ، وما تشمر به نحوه من عطف ، فأقبل يداعبها ويستسمحها عما بدر منه

أخذت قضية مستر هتن دوراً خطيراً ، وأجمع الخبراء والأطباء رأيهم على أنها ماتت مسممة بالزرنيخ كما اجتمعت القرائن والدلائل على أن مستر هتن هو الذي دس لها السم ليتخلص منها ويتزوج دوريس . وكان العامل الأكبر في إثبات التهمة عليه هو حبيته السابقة جانييت اسبنس التي دبت الغيرة في قلبها حينما تخلى عنها وتزوج دوريس ، فدبرت هذه المكيدة ، على حين كانت تريد هي أن تكون زوجته ، وكاد أملها أن يتجمع في الاقتران به ، ولكنه تركها إلى دوريس ، فلا جرم أن أحست بالغيرة تقطع أوصالها فدبرت ما دبرت

وفي ليلة الحكم عادت جانييت اسبنس إلى منزلها وهي لا تدري أيسرها هذا أم يسوؤها ، فنامت على أسوأ حال من سوء الهضم ، وأخذ الطبيب لبارد يتردد كل يوم لعيادتها ، أما هي فقد كانت تخوض معه في الحديث حول قضية مستر « هتن » الذي

جريرة ؟ متى يجوز في عقولكن أيتها النساء أن المرم لا يذهب في حبكن مذهب الجنون ؟ كل ما يبحث عنه الإنسان هو الحياة الهادئة التي لا تسمح لأحد يلوغها . فمن لي بمعرفة ذلك الشيطان الذي قادني إلى زواجك الذي لا أحسبه إلا ضرباً من الغباء . ثم أراك الآن تحومين حولي قائلة إنني القاتل . مالي على حمل ذلك صبر ولا جلد »

ثم انطلق نحو الباب مطلقاً لسانه بكلمات مزعجة ما كان له أن يتسرع بالتلفظ بها كما يعلم ، لكنه لم يتمالك نفسه ، ثم أغلق الباب بشدة خلفه

سمع هتن عند إغلاقه الباب صوتاً يناديه ، فغرف في الصوت « دوريس » زوجته وسمع صوتها تتخلله نبرات الحزن والأسى ، فهل ياترى يرجع إليها ؟ نعم حق عليه أن يرجع . وما إن مس مقبض الباب بيده حتى تغير رأيه ونزع يده بشدة وانصرف لسبيله ، ولما نزل إلى منتصف السلم توقف ودار بخاطره أن ربما أقدمت دوريس على مالا تحمد عقباه ، فتلقى بنفسها من النافذة ، أو شيء من هذا القبيل ، فأصغى باهتمام فلم يسمع صوتاً ، لكن كثر حدسه وتخمينه ، فتصورها وقد رفعت مصراع الشباك ، ثم إذا بها تطل في هواء الليل البارد بينما يتساقط رذاذ قليل ... كانت الردهة الرصوفة تقع تحت هذه النافذة على بعد خمس وعشرين أو ثلاثين قدماً ، وفي أثناء سيره في شارع « بيكادلي » قفز كلب فجأة من شباك في الطابق الثالث من عمارة « رتر » رآه هتن وهو يقفز وسمعه وهو يرتطم بالأرض ، فتذكر دوريس وخشى أن يكون هذا نذيراً سيئاً ، أو أن تكون قد ألفت بنفسها ، فجمع

— وربما كان ذلك في القهوة ؟

فأشارت إليه بالإيجاب

وحينذاك تناول الطبيب القلم ، وبمهارة وحذق

ورزانه كتب لها تذكرة طبية باسم دواء منوم

من جنسى

كتاب صحى عجائبا

الآلة البشرية وما يجب أن تعرفه عنها . العقل والجسد . العقل الباطن . الغدد . أسباب الأمراض . العلاج بالعقاقير . التربية البدنية . الطب الطبى . التحليل النفسى . الأمراض المزمنة والعيوب الجسمية والاضطرابات العقلية وأعراضها وعلاجها . النحافة . السمنة . قصر القامة . ضعف الصدر . اعوجاج الأرجل والظهر . الكساح . ضعف الأعصاب . الروماتزم . سقوط الشعر . تجعدات الوجه . الربو . الامساك . الأرق . الخجل . الوهم الوسوسة .

١٠٠ صفحة مصورة ترسل إليك بدون أى مسئولية ولا مقابل وسوف تكون بداية حياة جديدة بالنسبة لك . أطلب نسختك اليوم الآن بالكتابة أو بالتليفون رقم ٤٤٩٠٣ أو بالحضور من

محمد فائق الجوهري

أخصائى فى التربية البدنية والطب الطبى وعلم النفس
العيادة ٢٨ شارع فؤاد الأول من ١٠ - ١٢ ومن ٦ - ٨
تليفون ٤٤٩٠٣ أو ٥٠٣٥٩

كان زواجه سيباً فى إغلاء مراحل حقدها ، حتى أنها كانت تقول للدكتور « لمبارد » فى دهشة تتجلى فى عينها :

أليس من العار أن تذكر أن شخصاً كان يؤوى قاتلاً فى بيته ؟ أليس فوق التصور أن يظل الانسان جاهلاً حقيقة أخلاق إنسان آخر زمناً طويلاً ؟

هكذا كانت تقول للدكتور لمبارد بينما كانت هى التى دست السم لأميلى وقادتها الغيرة العمياء لأن تزج بهتن أمام ساحة القضاء لتلوث سمته وشرفه ، ولكنها كانت تمسقه . وقالت :

— ها هى الفتاة التى قرّ بها من طبقة وضيفة لا تزيد على كونها أمة مباحة . وهى ذى الأخبار ترد بأن زوجته الثانية تستقبل طفلاً جديداً سيكون يتيماً ، إذ يولد بعد موت هذا الوالد الأثيم وكان هذا الطفل يخرج صدرها ويؤذيها وكان الطبيب لمبارد ينصت إلى كل ذلك صامتاً ، ولكنه فى آخر مرة زارها وبعد أن سمع ما قالت ، أمسك بيده القلم ، وكتب لها اسم دواء

وفى ذلك الصباح قاطعها أثناء حديثها الذى تعود أن يسمعه من سباب ثم قال لها بلمهجة الحزينة وصوته المنخفض

— على كل حال فأنى أفرض أنك التى دسست السم لزوجته هتن ؟

فخدجته جانباً برهة بعينين متقدتين ثم قالت بلطف :

— أجل فعلت ذلك !